الفتوحات

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ميرزا ريحان بيغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفتوحات

في عهد

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

مرزا ريحان بيغ
السنة الثالثة من العالية الشريعة
دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ (الهند)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

شخصية عمر العبقرية:

في رحاب مكة المكرمة، وبعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة؛ ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث نشأ في كنف والده، وورث طباعه الصارمة، التي لا تعرف الوهن، والحزم الذي لا يدانيه التردد. أمضى شطراً من حياته في الجاهلية، وامتاز على أبناء قبيلته بأنه كان ممن تعلّم القراءة والكتابة وأصبح واحدًا من سبعة عشرة يتقنون ذلك. فحفظ الشعر وأيام العرب وأنسابهم، وأقبل على تعلّم الفروسية والمصارعة حتى أتقنهما، ولقد تفوق في المصارعة حتى صرع كل من صارعه.

اشتغل بالتجارة في صدر شبابه وكسب أموالا كثيرة ومعارف متعددة من البلاد التي زارها للتجارة، واحتل مكانة بارزة في المجتمع المكي الجاهلي وأسهم بشكل فاعل في بناء تاريخ أسرته، فكان يقضي بين العرب في منازعتهم قال عنه ابن سعد: إن عمر كان يقضي بين العرب في خصوماتهم قبل الإسلام ولا ضير في ذلك فكان سفير قريش إلى غيرها من القبائل، قال عنه ابن الجوزي: كانت السفارة إلى عمر بن الخطاب، إن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً.(١)

لذلك كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنى على ربه ويدعوه أن يعز الإسلام بعمر «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» قال: وكان أحبهما إليه عمر(٢)؛ وقال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة»(٣) وعندما أسلم ارتجت مكة وكانت نقطة تحول كبرى في مسيرة الإسلام. فأعز الله به الإسلام، وفرّق به بين الحق والباطل، والإيمان والكفر. عاش في ظلال النبي وتأدب

بـآدابه الرفيعة، وجاهد معه وتحت لوائه ولم يغب عن غزوة غزاها، وثبت معه في أقسى الظروف، وفداه بنفسه وماله وولده، وبلغ حبه له درجة جعلته يوم وفاته صلى الله عليه وسلم يتهدد كل من يقول: "إن النبي قد مات".

وفي مدرسة النبوة صقلت مواهب عمر ونمت ملكاته ومؤهلاته وصيغت شخصيته المتفردة التي تتمحور على ركائز ضخمة. وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع الصدّيق في خلافته الرجل الأبرز في الدولة، وكان الصدّيق يخلط لينه بشدة عمر ويشركه في سياسة الدولة والرعية.

ولعمر المنة في أعناق المسلمين في قضية (جمع القرآن الكريم) بعد معركة اليمامة حيث استشهد كثير من حفظة القرآن، حتى إذا اقترب أجل أبي بكر عزم على استخلاف رجل على المسلمين بعده، فاستشار علية الصحابة، وأبرم أمره بعد ذلك فاستخلف عليهم عمر. وأروع وأجل وأعظم ما تم في عهد الفاروق هو أن تحققت عالمية الإسلام وعالمية الرسالة وقيام دولة إسلامية ربانية في ٢٢٥١٠٣٠ ميل تضم مختلف الألوان والأعراق والقوميات والجنسيات والألسن. فطمس الله على يديه مجوسية الأكاسرة وأزال الله بحنكته من الشام ومصر حكم الأباطرة، فتوحاته فتحت القلوب قبل الدروب؛ عدل وأمانة وخشية من الله.. وأسس دولة شامخة تضاهي الدول المدنية المتطورة في عصرنا وتتفوق عليها في أشياء كثيرة مما يتعلق بالمفهوم الحقيقي للحضارة وحفظ حقوق الإنسان وكرامته وإعلاء فضائله ومكارمه.

يصف الرسول عمر فيقول: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)(٤) و(لم أر عبقرياً يفرى فريه)(٥) عبقت من شمائله فيض المكارم، وانهمرت من سلسبيل أوصافه خير المغانم، فقد كان صائب الرأي، وافق رأي القرآن، قوي الحجة، شديد الهيبة، ثم كان جندياً ممتازاً، وقائداً مجرباً، يعرف تفاصيل التعبئة الصغرى، ويتحلى بمزية الضبط المتين، ويعرف مزايا رجاله ويولّيهم المناصب استناداً لتلك المزايا فقط، ويطبق جميع مبادئ الحرب المعروفة بشكل مثالي وبكل حرص في الحرب، لقد كان قائداً فذاً وحاكماً فريداً لا يتكرر على تعاقب الأيام والعصور إلا نادراً وقد لا يتكرر أبداً. وماذا عساني أن أقول عنه؟ وماذا عساني أن ألملم في هذه الوريقات عن إنجازاته؟ إنه عمر؛ أتدرون ما

عمر!!! هو الذي قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: (كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً، وكانت إمارته رحمةً).

المدّ الإسلامي وأهدافه ومراحله:

وحّد الإسلام العرب، وجعلهم أمة متجانسة متكاتفة تجمعها رابطة جديدة غير الرابطة القبيلية، ألا وهي رابطة العقيدة الإسلامية، فبعد أن كان العرب مجموعة من القبائل المتحاربة أصبحوا بالإسلام أمة موحّدة قوية ضمت دولتها الجزيرة العربية بأسرها ثم امتدت خارج الجزيرة لتضم أقطارا واسعة من المحيط الأطلسي إلى أواسط آسيا. وطبيعة المد الإسلامي تنبع من طبيعة الدعوة الإسلامية فقد رأينا كيف أن الدعوة الإسلامية جاءت عامة للناس في جميع بقاع الأرض (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٦) وقد اختص العرب (عرب الجزيرة العربية) أولا للقيام بمهمة المد الإسلامي حتى إذا ما استقر الإسلام وحرّر الحجاز من الأوثان، كان واجباً دينياً على العرب المسلمين وتكليفاً شرعياً من الله دعوة الناس للإسلام خارج جزيرتهم.

أما أهداف المدّ الإسلامي فتنحصر في نشر الإسلام بين جميع الأمم والشعوب وتحريرهم ومرت حركة المد الإسلامي في كل بلد وصلت إليه بمراحل وهي كما تلي:

١- مرحلة المدّ الإسلامي وقادة الشعوب إلى الأخذ بمبادئ الإسلام وتحرير شعوبهم من الجاهلية: بدأ الرسول عليه السلام هذه السياسة عندما أرسل رسله إلى ملوك وأمراء الدول يعرض عليهم الإسلام وأن يسمح هؤلاء للدعاة الإسلاميين بحرية القول والنشر، وقد سار الخلفاء فيما بعد على هذه السنة، ففي كل بلد استهدفوا نشر الإسلام فيه، كانوا يرسلون الرسائل والوفود إلى الحكام والقادة يعرضون عليهم مبادئ الإسلام وشروطهم الثلاثة المعروفة وهي: الإسلام أو الجزية أو القتال.

٢- مرحلة الجهاد العسكري: وهي مرحلة تتلو المرحلة الأولى، فإذا ما وقف الحكام وقادة الشعوب من الدعوة الإسلامية كان لابدّ للمسلمين من أن يعملوا على إزالة الحواجز بالقوة العسكرية ليهيئوا الجو المناسب لنشر الدعوة الإسلامية التي كلّفهم الله بها، وقد خرجت جيوش الفتح الإسلامي للقيام بمهمة تحطيم العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية، وحقّقت جيوش الجهاد الإسلامي انتصارات كبيرة في فترة قليلة.

ولا تقس الدعوة الإسلامية والجهاد العسكري على الاستغلال الذي يسمّى (الاستعمار) في حضارة هذا العصر وعلى المستعمرين كل شيء عندهم قهر وتسلط، واستغلال ونهب، وشره وحرص، وتفريق بين الناس وعبادة للمال من دون الله.

فالعرب المسلمون لا يريدون علوّا في الأرض ولا فسادا، ولا يبتغون مالاً ولا يحرصون على دنيا. كانت غايتهم إصلاح البشر في معاشهم وأخلاقهم، وسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم، ورفع الظلم عنهم وإقامة العدل بينهم. وكانوا إذا حاربوا التزموا بمبادئهم الإسلامية الرفيعة القائمة على طاعة ولي الأمر والعدل والرفق وخلق الحسن، لا يغدرون ولا يمثلون ولا يجهزون على جريح، ولا يقتلون امرأةً ولا شيخاً ولا طفلاً ولا يهدمون معبداً ولا يؤذون متعبداً ولا يخربون داراً ولا يفسدون ماءاً ولا يقطعون شجراً ولا يمزقون كتباً.

ثم إن هؤلاء الفاتحين لم يعلنوا الإسلام بألسنتهم ولم يدعوا إليه بأقوالهم بل أروا الناس من أخلاقهم ومعاملاتهم وسيرهم أروع النماذج التطبيقية لشرائع للإسلام وأحكامه وأخلاقه. فكانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار، عادلين أوفياء، منصفين رحماء، فرأى فيهم الفرس والروم والقبط وغيرهم ما بهر ألبابهم فأقبلوا على الإسلام متسارعين (٧).

الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب:

استهل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهده بتلك الفتوحات الإيمانية التي بدأها الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأتمها على أحسن وجه، وأكملها على أبهى صورة، حيث فتح الله على يديه الكثير من المدن والبلدان في الشرق والغرب والجنوب، وأصبحت الدولة مترامية الأطراف، ونستطيع إجمال هذه الفتوحات العمرية في ثلاثة مجموعات:

- **الفتوحات على جبهة العراق والفارس**
- **فتوحات الشام**
- **فتوحات مصر وشمال وإفريقية**

الأول: الفتوحات على جبهة العراق والفارس: بدأت الفتوحات في العراق أيام أبي بكر

الصديق وحينما تولىّ عمر الخلافة كان المثنى هو والي العراق واستقبل خلافته بمتابعة فتوحات العراق وأعد جيشا بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي، وأمر المثنى بالسمع والطاعة له، فسار المثنى حتى قدم الحيرة.

وكانت (بوران بنت كسرى أبرويز) قد اعتلت (العرش الفارسي) فجهزت جيشا كبيرا[٨] بقيادة (نرسي) ابن خالة كسرى و(جابان) أحد أثرياء العراق المعروف بعدائه للمسلمين، ولما علم المثنى بالاستعدادات الفارسية الضخمة وأدرك أنه لا قِبل له بلقائهم فآثر الحذر وانسحب من الحيرة إلى (خفّان) وأدركه أبو عبيدة فيها، ثم زحف من (خفّان) نحو (النّمارق) ثم دارت بين طرفين في قتال شديد، وانهزم الفرس أمام المسلمين في معركة النّمارق (٨ شعبان ١٣هـ) ثم في السقاطية الواقعة جنوبي كَسكر قرب واسط (١٢ شعبان ١٣هـ) ثم في باقسياثا -ناحية بأرض سواد بغداد- (١٧شعبان ١٣هـ) وهكذا تم القضاء على ثلاثة جيوش للفرس في ثلاث معارك، خلال عشرة أيام فقط، وغلب المسلمون على تلك البلاد وانتشروا في قرى السواد.

وقعة الجسر ومعركة البويب (شعبان ١٣هـ):

أثار الانتشار الواسع للمسلمين في قرى السواد، واستشعر الفرس الخطر الحقيقي الذي أخذ يهددهم، فجهزوا جيشاً جديدًا قوامه (١٢٠٠٠ مقاتل) وعيّنوا رستم قائداً عليه (بيهمن جادَوَيه) وهو أشد العجم على العرب المسلمين، واصطحب معه (الجالينوس) وسار الفرس من المدائن حتى نزلوا (قس الناطف) قريباً من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، ونزل المسلمين على شاطئ الفرات الغربي، وجعلوا الفرات بينه وبين العدو، فبعث إليهم قائد الفرس: إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم فقال أبو عبيدة: بل نعبر نحن وعند اكتمال العبور، بدأ القتال وتصافحوا بالسيوف وحملت ثقيف على الفرس ولكن بدأت أفيال الفرس تهاجم المسلمين بضراوة، وأمر أبو عبيدة أن يتخلى المسلمون عن الخيول ويحاربوا الفرس جميعًا وهم مشاة، وفقد المسلمون بذلك سلاح الخيول وأصبحوا جميعًا مشاة أمام قوات فارسية مجهزة بالخيول والأفيال، واشتد وطيس الحرب، واشتد الأمر بالمسلمين، واستشهد منهم أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وصمد ثلاثة آلاف مع المثنى، وكانت هذه المعركة هي الوحيدة التي خسر فيها المسلمون[٩].

بعد وقعة (الجسر) بقي المثنى في قلة من المجاهدين، فأرسل عمر يطلب منه المدد وتتابعت الإمدادات من المدينة على المثنى حتى كثر جيشه وعسكر المسلمون على شاطئ الفرات الشرقي، والفرس مقابلهم، لا يفصل بينهم إلا النهر، وذلك في رمضان، فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا جميعاً ليكون أقوى لهم.

وأرسل مهران إلى المثنى يقول له: (إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم)، متبعاً خُطا بَهْمَن جاذويه وما كان للمثنى أن يُعيد خطأ أبي عبيد، كذلك التزم بأمر عمر ونصيحته وقد عهد إليه وإلى المسلمين (ألا يعبروا بحراً ولا جسراً إلا بعد ظفر!)

وعبر الفرس إلى (البويب) ومعهم ثلاثة أفيال، واشتبك الجيشان ودارت رحى معركة طاحنة، وأدار المثنى المعركة بحكمة وحنكة مما كفل له النصر، وقُتل مهران وتشتت جيشه وفرّ أفراده في فوضى واضطراب نحو الجسر يريدون النجاة بأنفسهم، فسابقهم المثنى وقطع الجسر، وأوقع فيهم مقتلة ذريعة. واستشهد من مسلمين كثير من الشهداء، وفيهم مسعود بن حارثة الشيباني أخو المثنى.

معركة القادسية (١٣-١٦ شعبان سنة ١٥هـ)

استقام الأمر للمسلمين بعد معركة البويب، واستغل المثنى النصر الرائع الذي أحرزوه، فشَنَّ غارات منظمة على أسواق شمال العراق، وبلغ المسلمون على محور دجلة قرية (بغداد)، وخضعت لهم البلاد فيما بين دجلة والفرات. وهذه الانتصارات الإسلامية المتلاحقة أثارت حفيظة الفرس وأقضت مضاجعهم، فاجتمع ساداتهم وملكوا (يَزْدَجِرْد بن شَهريار) وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وبدأ (يزدجرد) يزاول سلطانه بمعونة رستم والفَيْرُزان ثم بدأوا يحشدون للقتال، فأرسل المثنى بعد ذلك يطلب المزيد من المدد لكنه توفي بعد ذلك بفترة قصيرة، ثم انتخب سعد ابن أبي وقاص قائداً للجيوش وتحرك بجيشه نحو العراق في (١٣) شعبان من سنة (١٤هـ) ووصل (شَرَاف) وانضم إليهم جيش المثنى بن حارثة رضي الله عنه ثم وصل القادسية في شهر صفر سنة (١٥هـ)، فجعل مقر قيادته (حصن قُدَيْس) وهو حصنُ القادسية، والتقى بجيش فارس بقيادة رستم عند القادسية، بدأت المعركة بعد الظهيرة وبعد أن صلى سعد الظهر بالناس وخطب فيهم وحثهم على القتال، واستمر القتال حتى الليل، ثم استؤنف في اليوم الثاني ولمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع اشتد أثر الفيلة الفارسية على الجيش إذ كانت الخيول تنفر منها، الأمر الذي

جعل الصحابة يوجهون اهتمامهم إليها حتى قتلوها مع من عليها، وقد أبلى جرير بن عبد الله البجلي، والقعقاع بن عمرو، وطليحة الأسدي، وعمرو بن معديكرب، وخالد بن عرفطة وضرار بن الخطاب بلاء كبيراً، إذ كانوا يقلعون عيون الفيلة فتشرد بمن عليها، ثم تقتل، ويقتل أصحابها، فلما كان الزوال من ذلك اليوم الذي عرف بالقادسية وهو الإثنين الرابع عشر من شهر محرم من السنة الرابعة عشرة هبت ريح شديدة على الفرس فأزالت خيامهم وما كان منهم إلا الهرب، وقد قتل القعقاع بن عمرو التميمي وهلال بن علقمة التميمي رستم قائد الفرس، وفرت جماعة منهم، ولحقهم المسلمون حتى دخلوا وراءهم مدينة المدائن مركز الحكم ومقر يزدجرد بن شهريار. وقد قتل من الفرس في اليوم الرابع عشرة آلاف ومثلهم في الأيام السابقة، فكان مجموع القتلى عشرين ألفاً، وهو ما يقرب من ثلثي الجيش الفارسي، واستشهد من المسلمين في الأيام كلها ألفاً وخمس مائة شهيد، وغنم المسلمون غنائم كبيرة جداً، وأرسلت البشارة إلى أمير المؤمنين الذي كان في غاية الاهتمام بالمعركة حتى كان يخرج وحده أحياناً إلى خارج المدينة يسأل الركبان، ويتقصى الأخبار حتى جاءه النبأ(١٠).

ولا شك أن القادسية تقع على قمة قائمة المعارك الحاسمة في تاريخ العالم والبشر، فهي انفتحت على آثارها أبواب العراق، ومن وراء العراق فارس كلها، وهي التي من عندها استطرد نصر المسلمين، فاستطرد معه السقوط الساساني من الناحيتين الحربية والسياسية، والسقوط المجوسي من الناحية الدينية والعقائدية، ومن هنا انساح دين الإسلام شرقاً وغرباً(١١).

فتح المدائن (١٦هـ)

بعد القادسية كانت جيوش المسلمين تقف على مسافة ثلاثين ٣٠ كيلومترًا فحسب من المدائن عاصمة الفرس، ومكثوا فترة في القادسية حتى جاء عمر إلى سعد يأمره بالتوجه إلى المدائن، فخرج بالجيش في (أواخر شوال من سنة ١٥ الهجرية). كانوا كلهم في الفرسان لكثرة ما غنموا في القادسية، وحاصر سعد إلى المدائن مدة شهرين، حتى استسلمت فدخلها المسلمون، وهرب كسرى الفرس ووجد المسلمون داخلها ثروات هائلة، غير أن بقايا الجيوش الفرس عادت للتجمع في موقعين أساسيين، هما جلولاء وتكريت، فانقسم المسلمون ثلاثه جيوش حسب أوامر عمر.

الأول بقيادة هاشم بن عتبة الذي مني بالنصر في وقعة جلولاء، (ذو القعدة ١٦هـ) وفتح حلوان.

والثاني بقيادة عبد الله المتعم الذي نجح في فتح تكريت والموصل.

والثالث بقيادة عتبة بن غزوان الذي نجح في فتح جنوب العراق وفتح عامة هناك: الأبلة،والبقرة، وسيسان،و دستميسان. وبذلك تم تطهير جميع العراق العربي من الوجود الفارسي وانضم إلى دولة الخلافة الإسلامية الراشدة(١٢).

فتح بلاد الأهواز (مابين سنتي ١٨-٢٣هـ.)[١٣]:

الاسم الأعجمي هو: بلاد فوزستان، والاسم العربي لها: الأهواز وقد شارك عددٌ كبيرٌ من القادة في فتح هذه البلاد والمدن الواسعةِ منهم فتح القائد الكبير النعمان بن مقرّن (مدينة رامهرمز) وربيع بن زياد الحارثي وأبو موسى الأشعري وسلمة بن قيس الأشجعي. فهؤلاء القادة الكبار مهَّدوا بلاد الأهواز، ونشروا فيها الإسلام. وعاش المسلمون جنبا إلى جنب مع أهالي البلاد المفتوحة بأمن وسلام.

معركة نهاوند (فتح الفتوح) (٢١هـ)[١٤]:

بعد فتح المدائن والأهواز واصل المسلمون جهودهم، فانتصروا على الفرس في عدة معارك منها: معركة نهاوند سنة ٢١هـ آخر المعارك الكبيرة، فقد أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا بقيادة النعمان بن مقرن رضي الله عنه واجتمع جيش المسلمين في نهاوند وقوام الجيش زهاء (٣٠٠٠٠مقاتل) وكان قد تجمع فيها من الفرس ما يزيد على المائة والخمسين ألفا. وكانت المعارك سجالا بين الطرفين مدة يومي الأربعاء والخميس، ثم انتصر المسلمون على أعدائهم، الأمر الذي جعل الفرس يدخلون المدينة ويتحصنون فيها، فحاصرهم المسلمون ولما طال الحصار استشار النعمان رجاله فأشاروا عليه بالتراجع أمامهم حتى إذا ابتعدوا من حصونهم انقضوا عليهم، فوافق النعمان على ذلك، وأمر القعقاع أن يبدأ القتال مع الفرس وأن يتراجع أولهم ففعل فلحقه الفرس. وعندما ابتعدوا من حصونهم بدأ النعمان بالقتال ونشبت معركة حامية قتل فيها من الفرس أكثر من مائة ألف رجل وتجلل وجه الثرى بالجثث، وسقط النعمان من فرسه واستشهد، ولم يعلم بذلك سوى أخيه نعم، فأخفى ذلك، وأخذ الراية وسلمها لحذيفة بن اليمان فقاد المعركة إلى النهاية وبانتهائها أعلم نعيم الجند عن مصرع قائدهم النعمان. أما قائد

الفرس الفيرزان فقد فر ولحقه القعقاع وقتله عند ثنية همدان، ودخل المسلمون نهاوند عنوة، ولما وصلت أخبار نهاوند إلى عمر بن الخطاب بكى بكاء مريراً على شهدائها، وكلما ذكر له شهيد زاد بكاؤه، وأطلق عليه المسلمون بحق اسم: فتح الفتوح

الانسياح في بلاد العجم:

بعد وقعة نهاوند لم يواجه المسلمون صعوبات كبيرة في القضاء على الإمبراطورية الفارسية. لذا أمر الفاروق بالانسياح السريع في بلاد فارس حتى لا يجتمع لهم فلّ، وعقد سبعة ألوية وأمّر على الجيوش سبعة من أبطال الفتح:

١- الأحنف بن قيس إلى خراسان

٢- مجاشع بن مسعود السلمي إلى أرد شير وسابور

٣- عثمان بن أبي العاص الثقفي إلى إصطخر

٤- سارية بن زينم الكناني إلى فسا ودَرابْجِردْ

٥- سهيل بن عدي إلى كرمان

٦- عاصم بن عمرو إلى سِجِستانْ

٧- الحكم بن عمير التغلبي إلى مكران(١٥)

وهؤلاء القادة الكبار فتحوا كل البلاد بعد قتال عنيف وبهذا سقطت الدولة نهائيا، وبسط الإسلام جناحه على تلك الأصقاع، وهيمن المسلمون على أرض شاسعة يحدّها من الغرب نهر الفرات، ومن الشرق نهر جيجون وبلاد السند، ومن الشمال بلاد إرمينية، ومن الجنوب البحر الهندي، وقد تم ذلك في مدة عشر سنيين، فانتشر الإسلام وأقيم العدل وحلّ الأمان.

الثاني: الفتوحات في بلاد الشام: ابتدأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرحلة الأولى من الفتوح في بلاد الشام وباستخلاف الفاروق رضي الله عنه تبدا المرحلة الثانية من الفتح وتحرير تلك البلاد من احتلال الرومان لها:

فتح دمشق (١٤هـ)(١٦):

واستقبل عمر العمليات العسكرية هناك بعزل سيف الله خالد بن الوليد عن

القيادة العامة للجيوش الإسلامية، وولّي مكانه أمين الأمة أبا عبيدة بن الجراح، بعد ذلك أبو عبيدة مع خالد لحصار دمشق ومعهما عمرو بن العاص، عياض بن غنم، شُرحبيل بن حسنة، فحاصروا دمشق حصارا شديدا سبعين ليلة وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع، ويرسلون إلى ملكهم هرقل -وهو مقيم بحمص- يطلبون منه المدد، فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذي الكَلاع الذي يعسكر بجيشه بين دمشق وحمص عن أمر أبي عبيدة، فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد، فشلوا ووهنوا وأُبلسوا، وقوي المسلمون واشتد حصارهم، فمرج أمر جنود هرقل، واضطرب رأيهم ودعوا المسلمين إلى الصلح، واتفقوا على أن جعلوا نصف دمشق صُلحاً ونصفها عُنوةً.

وقعة فحل وفتحها:

بعد فتح دمشق سار أبو عبيدة إلى فحل وقد انحاز الروم إلى بيسان وبثقوا المياه من سدود بيسان على ما هنالك من الأراضي فتوحلت، ثم هجم الروم على المسلمين فقاتلوهم، وفرّ الروم وقتل أميرهم وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا ومالا جزيلا، ثم المسلمون حاصروا بيسان فخرجوا إليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليهم دمشق، وكذلك فعلوا مع أهل (طبريّة) سواء[١٧].

فتح حمص وحماة وحلب وماهنالك من المدن والقرى، وعامة سورية (١٥هـ)[١٨]:

انصرف أبو عبيدة ومعه خالد في جيش المسلمين من فحل إلى حمص، فحاصروهم حصارا شديدا، وذلك في زمن البرد الشديد فأهل حمص اضطروا إلى الاستسلام، وصالحوا المسلمين على ما صالحوا عليه أهل دمشق: على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضي، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر.

ثم بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى (قنّسرين) فلما نزل قنّسرين، تحصن المسلمون منه، ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه، ثم مضى أبو عبيدة إلى (حماة) فتلقاه أهلها مذعنين، فصالحهم على الجزية عن رقابهم والخراج على أرضهم، ثم وصل إلى (حلب) فتحصن أهلها، ثم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان، فأُعطوا ذلك، وبعدها توجه إلى (أنطاكية) فحاصرها من جميع نواحيها، فصالحوه على الجلاء أو الجزية، فجلا بعضهم، وأقام بعضهم، فأمنهم. وتابع أبو عبيدة فتوحاته وبذلك أكمل فتح (أرض الشام) فولى على كل كورة فتحها عاملاً، وضم إليه جماعة من الإداريين يعاونونه في إدارة

منطقته، وجيشا يدافع، ثم عاد إلى فلسطين.

معركة اليرموك (١٥هـ):

بسبب انتصارات المسلمين المتتالية حشد إمبراطور الروم (هرقل) جيشاً كبيراً، قوامه (٢٤٠ ألف رجل) وسار بهم إلى اليرموك سنة ١٥هـ، فالتقى بجيش المسلمين المكوّن من (٣٨ألفا)، بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وتمكن المسلمون من الانتصار على الروم بعد أن قتلوا منهم قرابة (١٢٠ألفا) واستشهد من المسلمين نحو ثلاثة آلاف، وتعد هذه المعركة من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي. فقد هيأ هذه الانتصار للمسلمين فتح عدد من المدن، منها: بيت المقدس، وحلب، وأنطاكية

فتوح فلسطين وفتح بيت المقدس (١٦هـ):

وبينما كان أبو عبيدة جاهدا بإكمال فتح سورية كان عمرو بن العاص يجدّ في فتح فلسطين، فاستطاع أن يفتح بعض مدنها، ثم حاصر بيت المقدس (إيليا) مدة أربعة أشهر، حتى ضاق بأهلها الأمر، فطلبوا تسليمها إلى أمير المؤمنين، فقدم عمر رضي الله عنه إلى بيت المقدس فتسَلّمها ١٦ سنة، ومنح أهلها الأمان، وأقرهم على ما هم عليه مقابل أن يدفعوا الجزية، وكتب لهم بذلك كتاباً عرف بالعهدة العمرية لأهل بيت المقدس، أمنهم فيه على كنائسهم وأنفسهم(١٩).

وبهذه الجهود الخارقة، والجهاد المتواصل، والفتوحات المتلاحقة؛ تمكن أبو عبيدة ومعه أمراء الحرب وقادة المعارك خالد ويزيد وشرحبيل وعمرو ومعاذ وعياض وغيرهم؛ من بسط سلطان الإسلام على بلاد الشام كلها من نهر الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية وتشتمل معها: سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

الثالث: فتوحات مصر وما والاها: ألف: اختلاف في تاريخ فتح مصر: يذكر عامة المؤرخين أن فتح مصر كان سنة (٢٠هـ) وأما سيف بن عمر فيقول: إنها فتحت سنة (١٦هـ) ورجحه ابن الأثير في ((الكامل))؛ وهذا التاريخ هو مبدأ الفتح، وهو الصواب في رأينا(٢٠).

ب: موجز فتوحات مصر(٢١): حينما أنهى المسلمون فتح بلاد الشام طلب عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الإذن لفتح مصر، فوافق على طلبه، فخرج في (٤٠٠٠ رجل) فنزل (العريش) -أول مدينة مصرية من جهة

الشام- ففتحها ثم سار إلى (الفراما) فقاومه الروم شهراً أو شهرين ثم تمكن من فتحها، واتجه إلى (بِلبِيس) شمال شرق القاهرة فتمكن من السيطرة عليها، واصطدم بعد ذلك بالأرطبون وهزمه ومضى عمرو إلى (الفسطاط) وأرسل إلى أمير المؤمنين عمر يطلب منه المدد، وجاءت الأمداد، واستمر الحصار سبعة أشهر، وأرسل (المُقَوْقِس)(٢٢) إلى عمر يقول: (إبعثوا إلينا رسلا نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم)(٢٣) فبعث عمرو عشرة أنفس فيهم عبادة الصامت، بعد طلبهم الأمان فأجلهم عمرو بن العاص ثلاثة أيام، فطلبوا الزيادة، فزاد يوما ثم يومًا، فرجعوا إلى المقوقس، فهمّ بقبول الصلح، فأبى (أرطبون)(٢٤) أن يجيبهم، وأمر بمناهدة المسلمين، ونشب القتال بين الطرفين حول حصن (بابليون) وفتح عمرو حصن الفسطاط (بابليون) ثم وجه عبد الله بن حذافة السهمي إلى (عين شمس) فغلب على أرضها، وصالح أهل قراها على مثل ما صلح الفسطاط، وأنفذ عمير بن وهب الجمحي إلى (تنيس) و(دمياط) و(دميرة) و(دهقلة) و(بنا) و(بوصير) وغيرها. فصالحها كذلك على مثل ما صلح الفسطاط، ثم بعث عقبة بن عامر الجمحي إلى سائر قرى أسفل مصر، ففعل مثل ذلك.

ج: **فتح الإسكندرية**(٢٥): كانت الإسكندرية عند فتح المسلمين لمصر هي عاصمة البلاد وثانية حواضر الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية زيادة على أنها مدينة تجارية عالمية. بعد أن فتح عمرو (مصر) أقام بها، ثم كتب إلى عمر يستأمره في الزحف على الإسكندرية، فكتب إليه عمر يأمره بذلك، سار عمرو إليها وحاصرها، فأرسل إليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدك، فأبى عمرو ذلك، وقاتل المسلمون الأقباط قتالا شديدا، وحصروهم ثلاثة أشهر، حتى فتح الله عليهم الإسكندرية.

وبالنظر في فتوحات مصر يتبين لنا أن غالبية البلاد المصرية فتحت صلحا بدون قتال يذكر، والقليل منها مثل (الفرما) و(الإسكندرية) فتحت عنوة، وذلك القتال لم يكن بين المسلمين وبين أهل مصر، إنما كان بين المسلمين والحاميات الرومية الأجنبية.

وهذا الأمر له أسبابه التاريخية التي وجهت سير الأحداث! ذلك أن غالبية أهل مصر (وهم الأقباط) استقبلوا الفتح الإسلامي العربي بالترحاب ووجدوا فيه مخلصا من الاصطهاد البيزنطي على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والدينية.

د: الفتوح في ليبيا[٢٦]: أراد عمرو القضاء على سلطان الروم في المنطقة الواقعة غربي الديار المصرية، فسار غربا يخترق الصحراء حتى بلغ (برقة) فافتحها سنة (٢١هـ) صلحا، وصالح أهلها على الجزية، وتبعد برقة عن الفسطاط أكثر من (١١٠٠كم)[٢٧] ثم وجه عمرو البطل الفاتح عقبة بن نافع، فسار بجيشه في الصحراء الليبية حتى بلغ (رُوَيْلَة)[٢٨] فافتحها، وصار مابين (برقة ورويلة) للمسلمين، ورويلة في أعماق ليبية في الجَنوب الغربي منها.

وتابع عمرو فتوحاته نحو الغرب حتى نزل (طرابلس الغرب) وكانت حصونها أمنع من حصون برقة، وحاميتها أكثر عددا، فامتنعت على المسلمين، فحاصروها شهرا، فاستسلمت وتم فتحها سنة (٢٢هـ) وكتب عمرو إلى أمير المؤمنين: (إنا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية -أي تونس- تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل) فكتب إليه عمر ينهاه عن ذلك، خشية الامتداد الكبير نحو الغرب فتوقف عمرو عند حدود تونس، واستخلف على ليبية عقبة بن نافع.

وهذه هي الفتوحات العمرية التي أنتجت قيادة عالمية واحدة للمنطقة التي تقع في وسط الكرة الأرضية كلها الممتدة من حدود الصين شرقاً إلى المغرب غرباً، ومن بحر العرب جنوبا حتى آسيا الصغرى شمالاً، قيادة جديدة بمؤهلات لم تعهدها البشرية، فهي محكومة مثلها مثل بقية أبناء شعوب المنطقة بقيم ومثل ونظام.

الحواشي والمراجع

(١) أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث ١٧-٢٠

(٢) هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، سنن الترمذي؛ حديث رقم: ٣٦٨١

(٣) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم (فضل عمر رضي الله عنه) (حديث رقم: ١٠٥)

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢) واللفظ له، وأحمد (٥١٤٥) مختصراً

(٥) الصفحة أو الرقم: (٧٠١٩) خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه البخاري (٧٠١٩)، ومسلم (٢٣٩٣)

(٦) (سبأ: ٢٨)

(٧) عمر بن الخطاب: الخليفة الراشدي العظيم والإمام العادل الرحيم، (٦٢٢-٦٢٥)

(٨) تاريخ الطبري: ٣/٤٤٤-٤٤٩؛ فتوح البلدان، ص ٢٣٤؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٣٨-٣٩، ٢٣٩-٢٤٠؛ تاريخ الخلفاء الراشدين، لمحمد سهيل طقوش، ص ١٨٢-١٨٣

(٩) تاريخ الطبري: ٣/٤٦٠-٤٧٢؛ فتوح البلدان، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ البداية والنهاية: ٧/٢٩؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤١ - ٤٤

(١٠) انظر عن معركة القادسية: تاريخ الطبري: ٣/٤٧٧-٥٨٨؛ فتوح البلدان، ص ٢٣٩-٢٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/٣٥-٤٧؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٦٠-٢٦٦؛ التاريخ الإسلامي والخلفاء الراشدون لمحمود شاكر ٣/١٧١-١٧٢

(١١) إستراتيجية الفتوحات الإسلامية-القادسية لأحمد عادل كمال ص، ١٠

(١٢) انظر عن فتح المدائن: تاريخ الطبري ٣/٦١٨- ٦٢٣، ٤/٥-٢٣؛ فتوح ٢٤٥-٢٤٦؛ البداية والنهاية: ٧/٦٣-٦٨ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٦٦ - ٢٦٨

(١٣) تاريخ الطبري: ٤/٧٢-١٨٦؛ قادة فتح بلاد فارس ص١٣٨-١٧٨. وانظر ما كتب عبد الستار الشيخ في كتابه: نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم، نبوءة رقم (٣١)

(١٤) تاريخ الطبري: ٤/١١٤-١٣٩؛ البداية والنهاية ٧/١٠٥-١١٢؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ١٠٢-١٠٥ ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٦٣-٣٦٤؛ التاريخ الإسلامي والخلفاء الراشدون لمحمود شاكر ٣/ ١٧٨-١٧٩

(١٥) تاريخ الطبري: ٤/٩٤

(١٦) تاريخ الطبري: ٣/٤٣٤-٤٤١؛ البداية والنهاية: ٧/١٩-٢٣؛ فتوح البلدان، ص ١١٩-١٢١؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ٦١-٦٢؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٢-١٥٥.

(١٨) تاريخ الطبري: ٣/٤٤١-٤٤٣ ؛ البداية والنهاية: ٧/١٩-٢٣؛ فتوح البلدان، ص ١١٩-١٢١؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ٦١-٦٢؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٢-١٥٥.

(١٩) تاريخ الطبري: ٣/٦٠٧-٦١٢؛ البداية والنهاية: ٧/٥٥-٦٠ ؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ١٣٣- ١٣٦؛

(٢٠) عمر بن الخطاب: الخليفة الراشدي العظيم والإمام العادل الرحيم؛ ص، ٦١٤

(٢١) تاريخ الطبري: ٤/١٠٤-١١١؛ فتوح البلدان، ص ١٩٩- ٢٠٥؛ البداية والنهاية: ٧/٩٧-١٠٠؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ١٣٦-١٤١.

(٢٢) المقوقس: رجل روماني الأصل، عينه هرقل حاكماً على مصر.

(٢٣) قادة فتح الشام ومصر، ص ١٣٩.

(٢٤) أرطبون: قائد روماني كان في فلسطين فهزمه عمرو فذهب إلى مصر.

(٢٥) عمر بن الخطاب رضي الله عنه للدكتور علي الصلابي، ٥٨١-٥٨٤

(٢٦) فتوح البلدان، ص ٢٠٩-٢١١؛ فتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص ١٧٠؛ تاريخ الطبري: ٤/١٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/١١٢؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ١٤٢-١٤٣؛ ولاة مصر، ص ٣٣

(٢٧) معجم البلدان: ١/٣٨٩

(٢٨) انظر معجم البلدان: ٣/١٥٩-١٦٠